الدرس الخامس

غيرة شاول من داود

1صموئيل 16: 1–31: 13

1. مقدمة

أكدّ القسم السابق (1صموئيل 13–15) أن الرب رفض حكم شاول كملك. وكان هذا أكثر من مجرد رفضٍ شخصي لشاول؛ إذ كان درساً للأمة كلها أن قراراها برفض يهوه ملكاً والمطالبة بملك من بينهم كان خاطئاً (1صموئيل 12: 7).

غير أن الله لا يقوم، مع تعلم هذا الدرس، بإزالة الحكم الملكي ليعيد تأسيس الحكم الثيوقراطي (الإلهي)؛ فقد سبق أن فشل الشعب تحت الحكم الثيوقراطي؛ وسيكون الرجوع إليه دون جدوى. وبما أنهم اختاروا أن يكون لهم ملك، فإنهم سيضطرون إلى محاولة خدمة يهوه تحت الحكم الملكي. وهكذا استخدم الله شاول لكي يكشف أن قرار الأمّة كان خاطئاً. غير أنه سيستمر في العمل من خلال الحكم الملكي. ويقيم الرب داود، وهو رجل حسب قلبه، لكي يكشف أن الأمّة لن تنجح إلاّ في مكان البركة (لا يجب أن ننسى العهد الإبراهيمي) عندما يكونون تحت السلطة الحاكمة لذاك الذي اختاره الله. يوضح الله هذا المبدأ بإقامة داود، لكن ذلك "الحاكم والملك" المناسب لن يكون بين ملوك إسرائيل البشريين. إذ سيكون الملك الحقيقي الذي يفعل إرادة يهوه في نهاية الأمر هو المسيّا نفسه. ومع تقدُّم الإعلان الإلهي، سيسهب النبي إشعياء في الحديث عن شخص المسيّا.

وهكذا فإن المبدأ الذي يجب أن تتعلّمه الأمّة هو أن يهوه يجب أن يختار ملكاً لنفسه (انظر 1صموئيل 16: 1). وهكذا يعيّن الله داود ليكون ملكاً. غير أن الله لا يقوم بإنهاء حكم شاول عُنوةً وإقامة داود ملكاً فوراً، بل ينشأ صراع طويل بين شاول وداود يبرز فيه داود بشكل تدرُّجي. وتشغل فترة الصراع هذه 16 أصحاحاً (1صموئيل 16–31)، ولا شك أن هذا الصراع احتل فترة طويلة جداً. غير أن من الواضح منذ البدء أن داود سيكون الملك التالي. ولهذا طلب الله إلى صموئيل أن يذهب إلى بيت لحم في الإصحاح 16 لكي يمسح داود ملكاً. وينبغي أن يُنظر إلى كل الأحداث بين الأصحاحات 16 و31 على خلفية كون داود ذاك الذي سيضعه الله على العرش بمرسوم من يهوه. فلا يتغلب داود على شاول بالصدفة؛ فالله يعمل بشكل سيادي في الأحداث لكي يضمن اعتلاء داود عرش إسرائيل. والسؤال الحقيقي هو سبب جعل داود ينتظر . . . فلماذا التأخير؟

يوجد فرق أساسي بين اعتلاء شاول للعرش وامتلاك داود له: يُدفع بشاول دفعاً إلى منصب الملك، بينما أعدَّ الله داود له. وبينما نخوّض في المشاهد المختلفة في هذه الأصحاحات الستة عشر، نعرف أن داود مدرك لقصد يهوه منه أن يكون ملكاً. غير أن الله يجعل داود في موقف يضطر فيه إلى الجهاد ومصارعة أوضاع صعبة، وتتعرض حياته أثناء ذلك للخطر. وعلى الرغم من أن داود يعرف أنه سيكون في نهاية الأمر ملكاً، إلاّ أنه عاش مع حقيقة أن هذا لا يمكن أن يحدث إلاّ في وقتِ الله وطريقته. وفي ما يتعلق بالفترة المتوسطة، يتوجب عليه أن يتعلم كيف يسلك بالإيمان متكلاً على الله في كل وضع. وبالمقابلة مع شاول، استعد داود للحكم بتعرضه للامتحان وتعلّم الإيمان والاعتماد على وعد يهوه بدلاً من اللجوء إلى وسائله الخاصة لضمان العرش (أي بقتل شاول عندما سنحت له الفرصة).

كانت حياة داود من هذه الناحية شبيهة جداً بحياة ربّنا يسوع المسيح. إذْ كان له وعد بالعرش (بالحكم الملكي). لكن قبل أن يتحقق ذلك، لا بدّ أن تكون هنالك آلام ومعاناة، وفرص للاتكال على الله وتعلُّم الطاعة. إن فترة الإعداد هذه هي فرصة لنمو داود في الإيمان وتعلُّم الصبر، وما إلى ذلك. لن يُظهر داود إيماناً نموذجياً دائماً، لكنه سيخرج من هذه الخبرات بقلب يخفق بحبِّ الله، قلب سيعطينا مزامير عظيمة كثيرة.

"كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي" (مزمور 24: 1–2أ).

2. الملك وروح الرب

لدى قراءة المرء لهذه الأصحاحات، يتضح أكثر فأكثر أن الله مسيطر على الموقف كله في ما يتعلق بالملك المتربع على العرش. ونجد أحد دلائل ذلك في مسألة الروح:

"فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته. وحلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً . . . وذهب روح الرب من عند شاول، وبَغَتْهُ روحٌ رديء من قِبل الرب" (صموئيل 6: 13–14).

يجب أن نحرص على عدم الخلط بين هذه الأحداث وبين عقيدة سكنى الروح القدس. إذ لا يشكّل هذا "تجديد" داود ولا فقدان شاول للخلاص. فحضور الروح مرتبط بالحكم الملكي. إذ يُمْسح داود هنا بصفته الملك الجديد، بينما يُرفض شاول؛ يحل الروح القدس بقوّة على داود ويُنزع من شاول. ويشرح هذا سبب صراخ داود في مزمور 51: "روحك القدّوس لا تنزعه منّي" (مزمور 51: 11). ففي

هذا المزمور يعلن داود عن توبته عن خطيته مع بثشبع. وهو يدرك أن الله يمكن أن ينزع منه المُلك (وينزع حضور الروح القدس عليه كملك) تماماً كما سبق أن فعل مع شاول.

إن الشيء المثير للاهتمام هو أن الروح لا يُسْحَب من شاول فحسب، لكن روحاً شريراً يرسل ليعذّبه أيضاً.[1] وفضلاً عن ذلك، فإن هذا الروح الشرير مرسل من الرب نفسه، على الرغم من وجوب النظر إلى عمل الله في ضوء خطية شاول (خاصة في الإصحاحات 13-15)، أي أنه يأتي استجابةً لخطية شاول وتمرُّده. وعلى الأرجح أن هذا يشير إلى أن الله الذي يتمتع بسيطرة على الأرواح الشرّيرة أرسل أحد هذه الأرواح الشريرة عامداً لكي يرهب شاول (على الرغم من أن بعض الباحثين ينظرون إلى ذلك كشكل من أشكال عدم التوازن العقلي ابتُلي به). ونحن نرى أن هذا الروح الشرير يهجم على شاول وينسحب في عدة مواضع (انظر 16: 15، 16؛ 18: 10؛ 19: 9). والنقطة الهامّة من هذا هي إظهار حقد شاول على داود وحسده له. وبترسيخ هذا التوتر، يهيئ الله الوضع الذي يمكن فيه أن يُمتحن داود ويهيّأ لدوره كملك.

ويُعطى حلول روح الله على شاول مزيداً من البحث في الأصحاح 19 عند هرب داود إلى صموئيل في نايوت. ففي هذه المرة يرسل شاول رسلاً لكي يأخذ داود، لكن ينتهي بهم الأمر إلى التنبّؤ مع الأنبياء لدى وصولهم إلى نايوت. وأخيراً يذهب شاول نفسه إلى نايوت، وفي الطريق "كان (حلّ) عليه أيضاً روح الله،" وحتى شاول تنبأ. وليست الفكرة هنا أن شاول استعاد رضى الله عليه وصار الآن خاضعاً لروح الله. بل على العكس من ذلك، فإنّ هذا تخليص لداود من شاول يتبيّن فيه أن روح الله هو المسيطر ومن هنا فإن هذه الحادثة تشجيع لداود وطمأنة له على أن شاول وكل قوّاته خاضعون لروح الله!

3. المزامير

شهدت هذه الفترة، كما سبق أن ذكرنا، تأليف داود لمزامير كثيرة. ويمكن تحديد بعض هذه المزامير تاريخياً، بينما يظل بعضها الآخر غامض التوقيت. غير أن هذه الأصحاحات (1صموئيل 16-31) تستحق دراسة متأنية، لأنها تعكس الوضع التاريخي الذي برزت منه المزامير. ويمكن للمرء بتأمُّلها ودراستها أن يتصور الصراع العاطفي الذي مرَّ به داود. وفي ما يلي بعض المزامير التي يمكن نسبها إلى هذه الفترة من حياة داود:

[1] نجد تناولاً أوسع للتوتر اللاهوتي في هذه المسألة Gleason L. Archer, *Encyclopedia of Bible Difficulties*, 179-80; C.F. Keil, The First Book of Samuel; and Walter C. Kaiser, Jr., *More Hard Sayings of the old Testament*, 151-53.

1. المزمور 59– عندما كان داود في بلاط شاول، غار شاول من داود وأرسل رجالاً ليحاصروا داود في بيته، لكن داود هرب من جبعة شاول بمساعدة زوجته ميكال، ابنة شاول.
2. المزمور 52– يصادق أخيمالك وكهنة نوب داود، لكن دواغ الأدومي يخونه، مما يؤدّي إلى قيام شاول بذبح الكهنة.

3. المزمور 56– يذهب داود إلى جت فيُلقي الفلسطينيون القبض عليه. وهناك يتظاهر بالجنون لينجو من أخيش، ملك جت.
4. المزمور 34– يغادر داود جت ليعود ويحمي عائلته. وهو يتأمّل في تجاربه واختباراته في جت، وهو في طريقه إلى عدُّلام.
5. المزمور 54– في برّية زيف يغدر الزيفيّون بداود.
6. المزامير 7، 142، 57– بعد مطاردات كثيرة، يذهب داود أخيراً إلى كهف عين جدي حيث كتب ثلاثة مزامير.

4. مطاردات داود وهربه

يمكننا أن نتتبّع شيئاً من حياة داود كهائم على وجهه في الإصحاحات 21–27:

1. يهرب من جبعة شاول إلى أبيمالك الكاهن في نوب (21: 1)
2. يهرب إلى أخيش، ملك جت (21: 10)
3. يهرب إلى كهف عدُّلام (22: 1)
4. يهرب إلى مصفاة موآب (22: 3)
5. يهرب إلى "الحصن" (ربما حصن مسّادا – 22: 4)
6. يهرب إلى غابة حارث (22: 5)
7. يذهب إلى قعيلة حيث حرّر المدينة من يد الفلسطينيين (23: 5)
8. يختبئ في منطقة زيف الجبلية (Horesh)؛ أي تل حخيلة، جنوب جشمون (القفر) (23: 14، 15، 19)
9. يهرب إلى برية معون (23: 24)
10. حصن عين جدي (23: 29)
11. يهرب إلى برّية فاران (25: 1)
12. تل حخيلة، جنوب جشمون (القفر) في برّية زيف (26: 1)
13. يرجع إلى أخيش، ملك جت (27: 2)

14. يمكث في صقلغ 16 شهراً (27: 6)

15. صار ملكاً في حبرون (2صموئيل 2: 1)

5. قصد الله لحياة داود

يرتبط كثير من هذه المادة بتطوّر إيمان داود وصبره. وبطبيعة الحال، فإننا ندرك أنه كان يملك إيماناً حتى عندما كان صغيراً في تحدّيه لجوليات:

"فقال داود للفلسطيني، 'أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله إسرائيل الذي عيّرته. . . الحرب للرب، وهو يدفعكم ليدنا'" (17: 45- 47).

لكن كان من الضروري أن يُمتحن إيمان الشاب بشكل كامل على الرغم من كونه يُقتدى به . وعندما هرب داود إلى أبيمالك الكاهن (21: 1-2)، كذب حول القصد من وجوده هناك. وعندما جاء إلى أخيش، ملك الفلسطينيين في جت، تظاهر بالجنون، وساوم بهذا على شهادته (21: 13). وأعتقد أنه من الصحيح الاستنتاج أن داود كان يفتقد إلى الإيمان في هذه المرحلة. يظل داود مدفوعاً بالخوف إلى أن يلقي بنفسه على الرب فيحصل على نظرة صحيحة وقوة جديدة (انظر مزمور 34: 4 الذي يتأمّل فيه في ما مرَّ به في جت).

وعندما يرتحل إلى موآب للسعي إلى ملجأ آمن لوالديه، يقول: "حتّى (إلى أن) أعلم ماذا يصنع لي الله" (22: 3). يعبّر هذا القول عن عدم يقين في حياة داود حيث لا يعرف ما سيفعله الله له.

تطبيق – توجد أوقات تعرف فيها أنك مدعو، لكنك لا تعلم ما سيفعله الله من أجلك! وفي مثل هذه الأوقات، يتوجب أن تتعلم (بالإيمان) كيف تتغلّب على عدم اليقين وتثق بالله.

في 25: 39 فصاعداً، يتزوج داود من أبيجايل، ويتزوج من امرأة أخرى دون استشارة الرب. كان من عادة داود أن يستشير الرب قبل الدخول في معركة، لكنه لم ينظر إلى علاقاته الشخصية على أن لها أهمية عظيمة. اتخذ عدة زوجات (25: 43)، وهذا الميل سيؤدي

إلى إزعاجه وتعبه لاحقاً ولا يبدو أنه قادر على تأسيس علاقة محبة راسخة مع امرأة، ويجد صعوبة في الاكتفاء (فلا عجب أنه صار فريسة سهلة لدى مقابلته بتشبع).

وفي 27: 1 نجد داود في لحظة اكتئاب عميقة يتخذ فيها قراراً سيئاً بالعودة إلى جت (الفلسطينيين). وهذه خطة وُلدت من اليأس، لا من الإيمان. وأثناء سكنه في صقلغ، يكذب على أخيش حول مآثره وإنجازاته (قارن 27: 8 و 27: 10)، لأن ضحايا غزوات داود كانوا أصدقاء أخيش.

وهكذا نجد أن داود ليس قدّيساً كاملاً، لكنّ الشيء المذهل في داود هو قلبه. كان يمكن أن يخطئ، وكان يمكن أن يتخذ قرارات سيئة، وكان يمكن أحياناً أن لا يسلك بالإيمان، غير أنه كان له قلب يحب الله، وقد أظهرت تجاربه وخبراته في البرية هذا الأمر: "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله!"

6. مبادئ من خبرة داود

1. يقف قصد الله لداود على نقيض قصده لشاول كما رأينا في مواقفهما الأولية.
2. دروس يجب أن يتعلّمها داود:
   أ. أن يُرفَض
   ب. أن الرب كافٍ في كل موقف ووضع
   ت. عن عواقب المساومة (27: 1؛ 22: 5؛ 27: 8؛ 10–12؛ 29: 8)

7. السخرية الأدبية في موت شاول

كانت إحدى أوائل رغبات شاول هي التخلص من داود، فكان يزجّ به في المعارك مع الفلسطينيين على أمل أن يُقتل (18: 25). وإن من السخرية الأدبية أن شاول هو الذي مات في معركة مع الفلسطيين (1صموئيل 31).

درس لحياتنا

يقدّم لنا الأصحاح 18 نظرة متبصرة إلى شخصية شاول والطريقة التي دخلت بها الخطية إلى حياته وأدّت إلى عواقب عديدة. وكان جذر المشكلة هو الحسد والغيرة. وقد أدّى هذا إلى إفساد العلاقة بين اثنين من قادة الله، بالإضافة إلى جعل شاول يرغب في قتل داود. وتطفو المشكلة على السطح لدى سماع شاول نساء إسرائيل وهن ينسبن لداود فضلاً أكبر ممّا ينسبن اليه. إذ غنّت النساء قائلات،

"ضرب شاول آلافه

وداود ربواته."

لم يفعل داود خطأ ولا أبدى حركة توحي بأنه يريد اغتصاب منصب شاول، لكن شاول لم يستطع أن يحتمل فكرة حصول شخص آخر على مجد يفوق مجده. تَتَبَّع (في هذا الإصحاح) كيف أن خطية الغيرة أدّت إلى الغضب، ثم إلى جنون الارتياب، وما إلى ذلك إلى أن أراد قتل داود. قارن مع تعليقات يعقوب حول الحسد المرّ والطموح الإنساني في قلب المرء (يعقوب 3: 14–16).